

# “الإسلام والنصر”

## الإعداد المعنوي للجهاد - 2 -

للواء الركن محمود شيت خطاب

ذكر في الفصل السابق ( المعنويات ) ، أن الدين عامل من عوامل رفع المعنويات . وما أجملناه هناك  
نفصله هنا .

- 1 -

حارب النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته العرب المشركين وانتصر عليهم ، فلم يلتحق بالرفيق الأعلى الا وكانت شبه الجزيرة العربية موحدة تحت لواء الاسلام .

كان جنود النبي صلى الله عليه وسلم من العرب المسلمين ، قليلي العدد ، فقراء بالسلاح والقضايا الادارية .

وكان اعداء الاسلام من العرب المشركين ، كثيरी العدد ، اغنياء بالسلاح والقضايا الادارية .

كان التفوق العددي والمعددي مع العرب المشركين على العرب المسلمين ، ولكن الفئة القليلة من العرب المسلمين ، غلبت الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين باذن الله .

وفي ايام الفتح الاسلامى العظيم ، حارب العرب المسلمون الروم والفساسنة العرب في معركة ( اليرموك ) الحاسمة التى فتحت ابواب ارض الشام

- 2 -

للمسلمين ، وحاربوا الفرس والمناذرة العرب في معركة ( القادسية ) الحاسمة التى فتحت ابواب ارض العراق للمسلمين ، وكان الفساسنة والمناذرة من العرب الاتحاح ، وكانوا اعرق مدنية واكثر حضارة ، واغنى مالا وسلاحا ، واعرف بأساليب القتال ، واقرب الى قواعدهم من اولئك العرب المسلمين القادمين من قلب الجزيرة العربية .

وانتصر العرب المسلمون على العرب غير المسلمين ، وعلى غير العرب من يهود وروم وفرس وبربر في ايام الفتح الاسلامى العظيم ، لا لانهم عرب وكفى ، بل لانهم عرب مسلمون .

لقد كان انتصار العرب المسلمين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي ايام الفتح الاسلامى العظيم انتصار عقيدة لا مرأى .

فما اثر العقيدة الاسلامية في احراز النصر ؟

كان العرب في الجاهلية متخلفين سياسيا

يستطيع أن يؤثر في سير الاحداث العالمية ، سواء اكان هذا التأثير هدفه الخير للعالم ، أم هدفه الشر والخراب والدمار .

### — 3 —

كان في العرب ايام الجاهلية مزايا متميزة :  
الذكاء الفطري ، وحب الحرية والمساواة ، والشجاعة  
والاقدام ، والكرم والسخاء ، فعمل الاسلام على تطوير  
هذه المزايا وصقلها ، واثاد منها ، ونجح في مسعاها  
اعظم النجاح .

وكان في العرب ايام الجاهلية صفات رديئة :  
تفرق كلمتهم ، وفقدان الضبط والنظام بينهم ، وعبادة  
الوثان والاصنام ، وسيطرة روح القبيلة عليهم ،  
فعمل الاسلام على محاربتها والقضاء عليها ، وانتصر  
عليها انتصارا باهرا .

وصدق الله العظيم : « واذكروا نعمة الله عليكم  
اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ،  
وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » (1) .

وكان العرب قبل الاسلام ، ماهرين في حروب  
العصابات ، وفي استعمال السلاح ، وفي الفروسية ،  
وكانت لهم قابلية عظيمة على الحركة من مكان الى  
آخر بسهولة ويسر ، وبأقل وقت ممكن ، وأقل تكاليف  
ادارية ، ولكنهم كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد :

وأحيانا على بكر أخينا  
إذا ما لم نجد الا أخانا

لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية ،  
تذهب عبثا في المناوشات المحلية بين القبائل .

كانت خبرتهم الحربية جهدا مضاعفا ، يضر ولا يفيد  
ويهدم ولا يبنى .

فلما جاء الاسلام ، وحد عقائدهم ، ووحد اعمالهم ،  
ووجد صفوهم ، ونظمهم ، وغرس فيهم روح الضبط  
والطاعة ، وطهر نفوسهم ، ونقى ارواحهم ، وخلق  
فيهم انسجاما ماديا ومعنويا ، فأصبحت — لذلك كله  
وبذلك كله — قوتهم المبعثرة ، وجهودهم المضاعة ،  
تعمل بنظام وضبط ، بقيادة واحدة ، لهدف واحد ،

واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا ، فرفع الاسلام مكانتهم  
السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية .

وكان الفرس والروم سادة العرب في العراق  
وأرض الشام واليمن ، وحتى الاحباش كانت لهم صولة  
وجولة ومكانة في اليمن ، فأصبح العرب بالاسلام سادة  
الفرس والروم والاحباش وسادة أمم أخرى لا تعد  
ولا تحصى من الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، ومن  
سيبيريا شمالا الى المحيط الهندي جنوبا .

وكان العرب اقل حضارة ومدنية من الفرس  
والروم خاصة ، فأصبحوا بعد الاسلام قادة الحضارة  
العالمية ورواد المدنية في الدنيا .

وكانوا فقراء معدمين يسكنون الخيام في الصحراء ،  
فأصبحوا بعد الاسلام اغنياء مترفين يسكنون القصور  
والبيوت في الحواضر على ضفاف الانهار .

وكانوا من الناحية العسكرية لا يطعمون أن يحمو  
أرضهم من الفرس والروم وحتى من الاحباش ،  
فأصبحوا بعد الاسلام لا يطمع احد في حماية أرضه من  
قوتهم القاهرة التي ملأت الأرض ساحة وعدلا .

اذن كان للاسلام اثر اى اثر في العرب ، بدلهم  
من حال الى حال ، وجعل منهم امة لها مكانتها ولها  
اعتبارها ولها تأثيرها في سير الاحداث الكبرى ، ولها  
كلمتها المسموعة بين الامم .

ولعل الباحثين المنصفين من المسلمين وغير  
المسلمين ، يستطيعون أن يقولوا كثيرا عن اثر الاسلام  
في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية في  
العرب .

ولكننى سأقتصر هنا ، على اثر الاسلام في العرب  
من الناحية العسكرية فقط ، مذكرا ان العرب لو لم  
ينتصروا في الحروب ، ولو لم تعرفوا راياتهم شرقا  
وغربا ، لما كانت لهم مكانة بين الامم في النواحي  
السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لذلك يمكن  
القول بأن اثر الاسلام عسكريا في العرب هو الأساس  
الاول لمكانتهم السامية بين الامم ، ذلك لان الدول لا  
تحترم غير الاتيواء . وان القوي وحده هو الذى



وأصبح المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها أخوة ، يتحابون بنور الله بينهم ، وهم أمة واحدة ، تحيتها السلام ، ودينها الاسلام .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤم الفين في عمرة القضاء ، ومائة ألف في حجة الوداع ، يسرون كلهم في نظام ادق نظام : هرولة ، ومشيا ، واستلاما للركن والحجر الاسود — هذا النظام المتصل بروح الاسلام ، سبب من اسباب القوة ، بل هو مصدرها ، وملاكها ، وهذه الامامة يقوم بها رجل مطهر يؤمن أصحابه بصدقته ، هي روح هذه القوة وقوامها .

وفرضت الصلاة على المسلمين ، ثم قامت صلاة الجماعة التي اداها المسلمون وراء امام واحد . ومن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوفا للصلاة ، يؤدون ركعاتها وسجاداتها في تناسق مدهش وفي نظام ووقار ، لا يمكن أن يغفل ما لهذه الصلاة المنظمة من قيمة تربوية في نفوس المسلمين .

ان العرب ابادة لا يخضعون لمشية خارجية ، ولكنهم كانوا يفتقرون الى الشعور التام بالطاعة والنظام ، فكانت لهذه الصلاة أهمية بالغة في ( ايقاظ ) روح النظام في نفوس العرب المسلمين ، لذلك غدا مكان الصلاة أول ميدان حقيقي للتدريب على النظام عند المسلمين .

ثم ان انتظام المسلمين في الصلاة ، شجع روح الوحدة بينهم ، وخلق بينهم شعورا بالمساواة التي كانت افكارا جديدة على بلاد العرب ، اذ كانت الوحدة الموجودة حتى ذلك الوقت هي رابطة الدم ، فاصبحت الوحدة السائدة هي وحدة العقيدة .

لقد وجد الاسلام بتعاليمه التي تغرس الضبط والنظام في النفوس ، وتدعو الى توحيد الله وتوحيد الصفوف ، أرضا خصبة في العرب الذين كانت لهم خبرة طويلة في الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتعشقون الحرية ، فكان من فضل الاسلام على العرب ، أنه جمع شملهم ، ووحد قلوبهم ، وأشاع فيهم النظام والضبظ ، وبذلك اصبحوا قوة هائلة وجدت لها ( متنفسا ) في توحيد شبه الجزيرة العربية أولا ، وفي الفتح الاسلامي ثانيا .

والمعروف ان الجندي لا يمكن أن يقاتل في الحروب قتالا مستميتا ، ويضحي بروحه مقبلا غير مدبر ، الا اذا كان يؤمن بعقيدة تدفعه الى التضحية والفداء ، وتجعله صابرا في البأساء والضراء وحين البأس .

والجندي الذي يقاتل بغير عقيدة ، لا يمكن ان يصمد في الميدان ابدا .

وما يقال عن الجندي ، يقال عن الجيش ، ويقال عن الشعب ايضا ، فليس الجيش الا مجموعة من الجنود ، وليس الجيش الا جزءا من الشعب .

فما اثر تعاليم الاسلام في العرب ؟

لا شك ان هذه التعاليم ، رفعت المستوى العقلي للعرب الى درجة كبيرة ، فهذه الصفات التي وصف الاسلام بها الله سبحانه وتعالى ، نقلتهم من عبادة اوثان وما يقتضيه ذلك من انحطاط في النظر واسفاف في الفكر — الى عبادة اله وراء المادة : « لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار » (2) .

كان الاله عند أكثرهم اله قبيلة ، وان اتسع سلطانه فاله قبائل او اله العرب ، فأبانه الاسلام اله العالمين ، ومدبر الكون ويده كل شيء وعالما بكل شيء ، فاستطاع العربي بهذه التعاليم أن يرتقى الى فهم اله لا مادة له ، واسع السلطان ، واسع العلم ، وأنهمهم الاسلام ان دينهم خير الاديان ، وان العالم حولهم في ضلال ، وان نبيهم نبي الناس جميعا ، وأنهم ورثته في حمل دعوته الى الامم ، فكان ذلك من البواعث على غزو هذه الامم يدعونهم الى دينهم ويبشرونهم به ، فمن دخل فيه كان أحدهم ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم .

وكان لعقيدة اليوم الآخر ودار الجزاء والجنة والنار ، اثر عظيم في بيع كثير منهم نفوسهم في سبيل نشر الدعوة : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل



والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم  
الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » (3) .

وكان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء  
والاخلاق في نظر العرب ، فارتفعت قيمة أشياء ،  
وانخفضت قيمة أخرى ، وأصبحت مقومات الحياة في  
نظرهم غيرها بالأمس .

ان الإسلام رسم للحياة مثلا أعلى غير المثل  
الأعلى للحياة في الجاهلية ، وهذان المثالان لا يتشابهان  
وكثيرا ما يتناقضان . فالشجاعة الشخصية ، والشهامة  
التي لا حد لها ، والكرم الى حد الاسراف ، والاخلاص  
التام للقبيلة ، والقسوة في الانتقام والاخذ بالثأر ممن  
اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو  
فعل — هذه المثل التي كانت اصول الفضائل عند العرب  
الوثنيين ، أصبحت في الإسلام الخضوع لله والانقياد  
لاوامره ، والصبر ، واخضاع منافع الشخص ومنافع  
قبيلته لاوامر الدين ، والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر  
وتجنب الكبر والعظمة — هي المثل العليا للمسلم في  
الحياة (4) .

ان الإسلام ، صهر نفسية العربى ، ونفى عنها  
الخبث ، فأصبح العربى المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا  
يزنى ولا يخون ولا يغش ولا يتجسس ، يخلص لعقيدته  
أكثر مما يخلص لنفسه ، ويطيع اوامر الله ورسوله  
وأولى الامر ما أطاعوا الله ، وبذلك أصبح فردا مقيدا  
باع نفسه لله اخلاصا لعقيدته .

هذا العربى المسلم ، بهذه المزايا النادرة ، أصبح  
بدون شك ، عنصرا مقيدا كل الفائدة لتكوين أمة صالحة:  
تعبد ربا واحدا ، وتعمل بانسجام وتعاون ونكران ذات،  
لتحقيق هدف واحد ، هو ان تكون كلمة الله هي العليا .

لقد تصرف العربى المسلم فردا تصرفا لا يزال  
يعتبر من الاعمال الفذة النادرة في حياة البشر : تحمل  
التعذيب والموت صابرا راضيا مطمئنا ، وترك اهله  
وماله مهاجرا الى الله ورسوله ، وضرب بمصلحة  
اهله الاقربين وعشيرته وقبيلته عرض الحائط حين  
وجدها تعارض مصلحة عقيدته العليا .

وتصرف العربى المسلم ضمن المجموع من أمته  
تصرفا لا يزال يعتبر حتى اليوم مفخرة من المفاخر :  
اندفع يجاهد في سبيل نشر عقيدته وحمايتها ، فخرجت  
القوة المؤمنة التي اختزنتها الصحراء عبر الاجيال ،  
تحمل راية الله سبحانه وتعالى وتبلغ عن أمره ،  
فتتابعت انتصاراتها الباهرة ، فلم يشهد التاريخ نسي  
احقابه المديدة انتصارات مظفرة وفتحا ( مستداما )  
مثلما تشهد انتصارات الفتح الاسلامى (5) .

تلك هي العقيدة التي جعلت العربى المسلم يقاتل  
قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه من أجلها .

وهذه العقيدة هي التي دفعت العربى المسلم  
الى التضحية والفداء ، وجعلته صابرا في البأساء  
والضراء وحين البأس .

وهذه العقيدة هي التي قادته من نصر الى نصر  
ما دام متمسكا بها ، فلما اعرض عنها لم ير النصر  
بعينه أبدا .

## — 5 —

فكيف يربى الإسلام ملكة الجندية الحققة في المسلم  
فردا وفي المسلمين جيوشا وامة ؟

هناك صفات خالدة للجندى الحق هي التي تميز  
الجندى الامين عن الجندى المزيف الذى لا قيمة  
عسكرية له .

وهنا لا بد لى من ان اذكر ، بأنه ليس كل من  
ارتدى البزة العسكرية وقضى ردحا من الزمن في الجيش  
أصبح جنديا حقا .

بل لا بد ان تتوفر في الجندى صفات معينة ،  
ليكون جنديا يفيده ولا يضر ، ويبنى ولا يهدم ، ويقاوم  
ولا يفر .

من هذه الصفات الطاعة ، والطاعة هي ما نطلق  
عليه في المصطلحات العسكرية الحديثة تعبير :  
الضبط (6) .

والضبط : معناه اطاعة الاوامر وتنفيذها نصا  
وروحا بدون تردد وعن طيبة خاطر وبحرص وامانة  
واخلاص .

(3) سورة التوبة آية 111 .

(4) انظر ، فجر الاسلام 1 / 93 — 95 ، احمد امين .

(5) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة الشام ومصر 267 — 276 .

(6) بطلقة علم كلمة : الضبط في قسم من الحشوش العربية كلمة : الانضباط .



وثبت اقدامنا « (11) ، وقال تعالى : « سلام عليكم بها صبرتم ، فنعم عقبي الدار » (12) ، وقال تعالى : « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (13) ، وقال تعالى : « ثم جاهدوا وصبروا ، ان ربك من بعدها لغفور رحيم » (14) .

ومن صفات الجندي الخالدة : الثبات في الحرب :

والثبات له معنيان : الاول الثبات الى آخر اطلاقه وآخر رمق ، فليس جنديا من يفر او يستسلم للعدو ومعه سلاح وعناد ، حتى يتحطم سلاحه وينفذ عتاده .

والثاني الشجاعة في مجابهة العدو والقتال بتصميم وعناد .

وقد وردت ( ثبت ) ومشتقاتها في ثمانى عشرة آية من آيات الذكر الحكيم . قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا » (15) ، وقال تعالى : « وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام » (16) ، وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » (17) ، وقال تعالى : « ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا » (18) ، وقال تعالى : « ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا ، وثبت اقدامنا » (19) ، وقال تعالى : « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم ، فثبتوا الذين آمنوا » (20) .

اما الشجاعة وهى من اهم صفات الجندي ، فيكفى ان نذكر ان المسلم لا يجبن ابدا ، وان التولى يوم الزحف بالنسبة للمسلم من الكبائر ، قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا

لقد وردت كلمة ( طاع ) ومشتقاتها في تسع وعشرين ومائة آية من آيات القرآن الكريم . قال تعالى : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » (7) وقال تعالى : « ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا » (8) ، وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » (9) .

والفرق الكبير بين الجندي الجيد والجندي الرديء ، هو ان الاول مطيع والثاني غير مطيع ، اى ان الاول يتحلى بالضبط المتين ، والثاني قليل الضبط ، كما يعبر عن ذلك العسكريون المحدثون .

وقد ضرب السلف الصالح اروع الامثال بالطاعة لله ولرسوله واولى الامر ، وتاريخ الصدر الاول من الاسلام ملئء بأمثلة الطاعة التى امت بالكثير من المسلمين الى التضحية بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله . كما ان الفرق الكبير بين الجيش والمدنيين ، هو ان الجيش يتحلى بالضبط المتين ، ولا جيش بدون ضبط ، ولا ينتصر جيش فى الحرب بدون ضبط مهمها يكن حسن التنظيم كامل التجهيز جيد التدريب قوى القيادة .

## — 6 —

ومن صفات الجندي الخالدة : ( الصبر ) على المشقات العسكرية وفى الميدان .

وقد وردت كلمة ( صبر ) ومشتقاتها في ثلاث ومائة آية من آيات القرآن الكريم . قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله » (10) ، وقال تعالى : « ربنا افرغ علينا صبرا

- (7) سورة النساء الآية 80 .
- (8) من سورة النور الآية 47 .
- (9) من سورة النساء الآية 59 .
- (10) سورة آل عمران الآية 200 .
- (11) سورة البقرة الآية 250 .
- (12) سورة الرعد الآية 24 .
- (13) سورة النحل الآية 126 .
- (14) سورة النحل الآية 110 .
- (15) سورة الانفال الآية 45 .
- (16) سورة الانفال الآية 11 .
- (17) سورة محمد آية 7 .
- (18) سورة البقرة آية 250 .
- (19) سورة آل عمران آية 147 .
- (20) سورة الانفال آية 12 .

لقتال او متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله  
وماواه جهنم وبئس المصير » (21) .

وجعل التولى يوم الزحف من صفات الكفار  
والمنافقين ، قال تعالى : « ولو قاتلكم الذين كفروا  
لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا » (22) ،  
وقال تعالى : « لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن  
موتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا  
ينصرون » (23) ، وقال تعالى : « لن يضرركم الا  
اذى ، وان يقاتلكم يولوكم الادبار » (24) ، وقال  
تعالى : « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون  
الادبار ، وكان عهد الله مسئولا » (25) .

ولست اعرف عقيدة سماوية ولا ارضية حثت  
على الشجاعة حثا حاسما جازما كما فعلت العقيدة  
الاسلامية ، ويكفى انها اخرجت الجبناء من حظيرة  
المؤمنين ، فالجبن والاسلام على طرفي نقيض وهما  
ضدان لا يجتمعان .

واذا كانت الشجاعة هي التي تؤدي الى احراز  
النصر ، او هي من اهم عوامل النصر على الاطلاق ،  
فان الشجاعة في العقيدة الاسلامية هي مزية من مزايا  
المسلم الذي لا يكون مسلما بدونها .

— 7 —

ومن صفات الجندي الخالدة الحذر واليقظة .

قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا خذوا  
حذرکم » (26) ، وقال تعالى : « فليصلوا معك  
ولياخذوا حذرهم واسلحتهم » (27) ، وهي صلاة  
الخوف كما يعبر عنها الفقهاء .

واذا كان الجندي حذرا يقظا ، صعب على عدوه

- (21) سورة الانفال آية 15 — 16 .
- (22) سورة الفتح آية 22 .
- (23) سورة العشر آية 12 .
- (24) سورة آل عمران آية 111 .
- (25) سورة الاحزاب آية 15 .
- (26) سورة النساء آية 71 .
- (27) سورة النساء آية 102 .
- (28) سورة العشر آية 12 .
- (29) سورة الصف آية 11 .
- (30) سورة التوبة آية 20 .

ان ينال منه او ان يباغته ليقضى عليه ، والمباغثة مبدا  
من اهم مبادئ الحرب .

وليس جنديا حقا من ينام عن عدوه ، لان المبدأ  
السليم في الحرب هو ادخال اسوأ الاحتمالات في  
الحساب .

وتطبيقا لمبدأ الحذر واليقظة ، كان المسلمون  
الاولون في الحرب لا ينامون ولا ينيمنون . .

وما اصدق المثل العربي القائل : « اذا كان  
عدوك نملة ، فلا تتم له » .

والاستهانة بالعدو اعتمادا على الكثرة الكاثرة  
والعدد العديد ، يؤدي الى الكوارث في الحرب ، وقد  
علمنا الله سبحانه وتعالى درساً عسكرياً سجله  
القرآن الكريم ، فقال تعالى : « ويوم حنين اذ اعجبتمكم  
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما  
رحبت ، ثم وليتم مدبرين » (28) .

ان الاستهانة بالعدو تؤدي الى الهزيمة ، ومن  
حق المنتصر ان يستهين بعدوه بعد احراز النصر عليه ،  
اما قبل المعركة فلا بد ان يدخل في حسابه عن عدوه  
اسوأ الاحتمالات .

— 8 —

ومن تلك الصفات الخالدة للجندي الحق ، ان  
يجاهد بماله ونفسه في سبيل مثله العليا .

وقد وردت كلمة ( جهد ) ومشتقاتها في احدي  
واربعين آية من آيات الذكر الحكيم . قال تعالى :  
« يؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله » (29)  
وقال تعالى : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في  
سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند  
الله » (30) ، وقال تعالى : « وجاهدوا بأموالكم



وانفسكم في سبيل الله » (31) ، وقال تعالى : « وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما » (32) .

وقد فرض الاسلام على المتخلف عن الجهاد عقابا نفسيا في الدنيا ، اذ يهجر المتخلف اهله حتى زوجه ، كما يهجره المسلمون جميعا ويقاطعونه ، وينظر اليه المجتمع الاسلامي نظرة احتقار وازدراء . قال تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا » (33) . ان عقاب المتخلف عن الجهاد في الاسلام يقتصر عليه فقط ولا يشمل اهله وعشيرته ولا سكان قريته ، كما حدث في القرن العشرين عند بعض الدول الكبرى ، اذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلف وعشيرته وحتى بأهل قريته في بعض الاحيان .

ويهمنا ان نعرف ان كثيرا من عوائل المتخلفين ابيدت عن بكرة ابيهم في الدول التي طبقت الحرب الجماعية خلال الحرب العالمية الثانية في القرن العشرين .

اما في الاسلام ، فقد عاقب المتخلف وحده عقابا نفسيا صارما ، فابن هذا العقاب الذي طبقه المسلمون على المتخلف في القرن الاول الهجري من هذا العقاب الذي طبقته ارقى الدول في القرن الرابع عشر الهجري ؟ لقد سبق الاسلام الامم بتعاليمه العسكرية قرونا طويلة ، ولكن .. يا ليت قومي يعلمون !

— 9 —

عمل الاسلام على تقوية مستويات (34) المجاهدين قال تعالى : « يا ايها النبي اعرض المؤمنين على القتال » (35) .

وحث الاسلام على الاهتمام باعداد القوة المادية،

قال تعالى : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعنكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » (36) ، وقال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون » (37) .

كما حث الاسلام على انشاء المعامل الحربية لصنع الاسلحة ، وذكر بالحديد بصورة خاصة للاستفادة منه للاغراض العسكرية : « وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب ان الله قوى عزيز » (38) .

واعد الاسلام تنظييمات عملية للاعفاء من الجندية ، وعلان الحرب : والدعوة الى الجهاد ، وتطهير الجيش واساليب القتال وقضايا الكتمان ، والهدنة ، والصلح ، والاسرى والمحافظة على العهود .

فقد حصر الاسلام اسباب الاعفاء من الجندية في الضعف ويشمل : المرض والمعز والشيخوخة وعدم القدرة على الانفاق ، قال تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله » (39) . وقد نصت الآية على عدم القدرة على الانفاق لان الجندى كان يلتزم حينذاك بنفقته وادوات حربه ، وقد زال هذا السبب الآن ..

وحذر القرآن الكريم من انتهاز غفلة العدو المعاهد واخذه على غرة غدرا ، قال تعالى : « واما تخائن من قوم خيانة فانبد اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » (40) ، فتطلب الآية الكريمة طرح العهد عند توجس الشر من العدو ، وتطلب ان يكون هذا النبد صريحا .

وحذر الاسلام من التباطؤ في تلبية داعي الجهاد

- (31) سورة التوبة آية 41
- (32) سورة النساء آية 95
- (33) سورة التوبة آية 18
- (34) انظر بحث المعنويات
- (35) سورة الانفال الآية 65
- (36) سورة النساء الآية 102
- (37) سورة الانفال الآية 60
- (38) سورة الحديد الآية 25
- (39) سورة التوبة الآية 91
- (40) سورة الانفال الآية 58



قليلًا» (45) ، وقال تعالى : « وإذا جاءهم أمر من  
الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى  
أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » سورة  
النساء الآية 83 .

وأمر الإسلام بتبليغ دعوة السلم ووقف الحرب إذا جنح إليها الأعداء ، وظهرت منهم علامات الصدق والوفاء . قال تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله » (46) .

وخير الاسلام القائد بين أن يمين على الاسرى  
ويطلقهم من غير غدية أو مقابل ، أو يأخذ منهم الفدية  
من مال ورجال وذلك حسب اقتضاء المصلحة . قال  
تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى  
إذا اثخنتموهم فشذوا الوثاق فإما منأ بعد وإما  
فداء » (47) .

وحث الاسلام بصورة خاصة على المحافظة على  
 العهود ، وأوجب الوفاء بها ، وحرّم الخيانة فيها ،  
 والعمل على نقضها ، وأرشد الى ان القصد منها احوال  
 الامن والسلم ، محل الاضطراب والحرب ، وحذر ان  
 تكون وسيلة للاحتيال على سلب الحقوق والوقعية  
 بالضعفاء . قال تعالى : « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم  
 ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم  
 كفيلاً ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتي نقضت  
 غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم ان  
 تكون امة هي اربى من امة » (48) .

- 10 -

هذا غيض من فيض مما جاء في القرآن الكريم  
من آيات كريمة لتربية الجندي فردا ولتربية الجيش  
جماعات .

ومما ذكرنا يتضح أن الجندی المسلم لا یکذب ولا

والتثاقل عنه . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل . ألا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شيء قدير » (41) .

وامر بتطهير الجيش من عناصر الفتنة والخذلان ،  
 ممن الذين يختلفون عن أفرادها بالعقيدة ، حتى يكون  
 الجيش كله مؤمنا بعقيدة واحدة ، يعمل لتحقيقها ،  
 ويبذل كل ما يملكه في سبيلها ، وبذلك يستطيع الفوز  
 في الحرب ، قال تعالى : « ولو كانوا فيكم ما قاتلوا  
 الا قليلا » (42) وقال : « ولكن كره الله انبعاثهم  
 فنبطهم وقيل اتعدوا مع القاعدين ، لو خرجوا فيكم ما  
 زادوكم الا خبلا ولا وضعوا خلالكم ييغونكم الفتنة وفيكم  
 سماعون لهم » .

ونظم الاسلام المواضع الدُعائية موزعا للمقاتلين  
على تلك المواضع : « واذ غدوت من اهلك تبوء  
المؤمنين مقاعد للقتال » (43) .

وابتكر الاسلام أسلوبا جديدا في القتال لم تكن العرب تعرفه من قبل هو أسلوب الصف ، اذ كانت تقاتل بأسلوب الكر والفر : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا » (44) . ويطلق اسم هذا الاسلوب من القتال على سورة من سور الفكر الحكيم ، هي سورة الصف .

ويحذر الاسلام من اذاعة الاسرار العسكرية ، ويجعل اذاعتها من شأن المنافقين ، ويطالب المؤمنين بالرجوع الى القيادة العامة ، كما يطالبهم بالتثبت مما يصلهم من انباء قبل الركون اليها والعمل بها : « لنن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا

- (41) سورة التوبة الآية 38 - 39  
(42) سورة الاحزاب الآية 20  
(43) سورة آل عمران الآية 121  
(44) سورة الصف الآية 4

ويمكن ان نطلق الصف الآن على كل تنظيم حربي يراه القائد في وضع الجيش المحارب تجاه عدوه دون ان نتمسك بحرفية الصف الواحد والمهم هو التماسك والتعاون في الجيش المحارب وأسلحته المختلفة .

(45) سورة الاحزاب الآية 60 .

(46) سورة الانفال الآية 61 - 62 .

(47) سورة محمد الآية 4 .

(48) سورة الفحل الآية 91 - 92 .



والسؤال الكبير الذى يدور على كل لسان اليوم :  
لماذا اندحرنا فى فلسطين ؟

واسباب الاندحار كثيرة ، من أهمها أن العرب  
تخلوا عن عقيدتهم السحاء .

انه لا جيش قوى بدون معنويات عالية ، وقد  
اثبتت الاحداث ، أن معنويات الجيوش العربية لم  
تكن عالية بحيث تتحمل اعباء حرب طويلة الابد بثبات  
وتضحية ومضاء .

لم يكن من المتوقع مطلقا ، أن تنهار الجيوش  
العربية بهذه السرعة المذهلة ، والقول بأن تفوق  
اسرائيل بالقوة الجوية لا يسوغ أبدا سرعة انهيار  
الجيوش العربية بشكل يندى له الجبين .

وقد تعلمنا من دروس تاريخ الحرب ، أن  
المعنويات أقوى من السلاح ، وأن الجيش الذى يتحلّى  
بالمعنويات العالية ينتصر فى النهاية مهما طال الابد على  
اعدائه .

ان المعنويات تركز أولا وآخرها على العقيدة ، فما  
هى العقيدة التى كانت الجيوش العربية تؤمن بها ؟  
هل هى المبادئ المستوردة شرقية كانت أم  
غربية ؟ !

هل هى الشعارات التى لم تتجاوز اللسان هتافا  
وصراخا والتى لم تخالط القلب والوجدان ؟ !

هل هى عبادة الاشخاص والعمل من أجل الامجاد  
الشخصية ؟ !

كل تلك الامور وامثالها لا يمكن ان تسمى عقيدة  
منشئة بناءة ، يمكن ان يضحى الجندى فى سبيلها  
بروحه مقبلا غير مدبر ، والروح اغلى ما يملكه الانسان .  
ان العرب يمتلكون عقيدة هى اقوى العقائد  
واصلبها ، وقد قادت العرب الى النصر والى قيادة  
العالم قرونا طويلة .

وهذه العقيدة ، تحت على الجهاد بالمال والنفس ،  
وتحت على الشجاعة والاقدام ، وتأمر بالصبر والثبات ،  
وتنتهى عن التولى يوم الزحف ، وتغرس فى النفوس  
الطاعة .

ولست اعرف عقيدة غير الاسلام ، تبنى كل هذه  
الفضائل العسكرية فى العقول والنفوس معا .

يسرق ولا يزنى ولا يخون ولا يخش ولا يتجسس على  
جيشه ، يخلص لواجبه اعظم الاخلاص ، وينسى نفسه  
فى سبيل المصلحة العليا للمسلمين . يتحلّى بالضبط  
المتين ، فيطيع الاوامر وينفذها بأمانة واخلاص واندفاع .  
يصبر فى البأساء والضراء وحين البأس ، ويتحمل  
المشاق العسكرية صابرا محتسبا ، يتصف بالشجاعة  
والاقدام ، ويثبت فى الميدان ولا يفر أبدا ، ولا يولى يوم  
الزحف ، حذرا يقظا ، لا يستهين بعدوه ، يجاهد بماله  
وروحه فى سبيل الله ، ولا يتخلف عن الجاد مطلقا .

هذا الجندى المسلم ، بهذه الصفات الرائعة ،  
هو بالتاكيد عنصر مفيد فى جيش له تعاليمه المتينة  
الرصينة فى التنظيم وفى التجنيد وفى الدعوة الى الجهاد .  
فى جيش نقى من الدخلاء والملوثين ، لا يغدر ولا يخون  
ولا يجور على احد ، له تعاليمه القوية فى القتال وفى  
السلام ، وفى التمسك بالعهد والمواثيق ، وفى معاملة  
الاسرى معاملة انسانية رفيعة .

هذا الجيش الذى يعد كل متطلبات القتال سلاحا  
وعتادا وقضايا ادارية ومعامل عسكرية ، لا يمكن  
أن يغلب أبدا .

وغزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، والفتح  
الاسلامى العظيم ، خير شاهد على ما نقول .

لقد انتصر المسلمون الاولون ، لانهم كانوا ترجمة  
عملية تمشى على الارض لتعاليم الدين الحنيف .

وحين اعرض المسلمون عن دينهم ، وتركوا  
تعاليمه السماوية ، تداعت عليهم الامم ، واصبحوا  
غناء كغناء السيل .

قد اعزهم الله بالاسلام ، ولن يعزوا بغيره .  
والاسلام ليس نسبا ولا ارضا ولا منطقة جغرافية ،  
بل هو عمل وتضحية وقداء .

والمسلمون الذين يصومون ويصلون ويؤدون  
الفرائض ، ثم يقعدون عن الجهاد فى سبيل الله ، حينها  
يكون الجهاد فرض كفاية أو فرض عين ، ليسوا  
مسلمين حقا .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من  
مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة  
من النفاق ) .



فماذا فعلنا لغرس العقيدة في أبناء الشعب قاطبة ومنهم الجيش ؟

لا شيء أبدا . . لا شيء على الإطلاق ،،،

لقد حارب الاستعمار بوسائله الجهنمية هذه العقيدة ، وبذل كثيرا من الجهد والمال لتحقيق أهدافه الهدامة ، وكان ما بذله الاستعمار أمرا طبيعيا بالنسبة لأهدافه ، لأنه يعلم أن الأمة بدون عقيدة ، لا قيمة لها في الحياة ولا خطر منها عليه .

وكان من المتوقع أن يتبنى العرب عقيدتهم بعد نيل حريتهم ، ولكن العكس حدث تماما ، فقد بدأ حكام العرب أول ما بدأوا بمحاربة عقيدتهم ، فنفذوا عن طيبة خاطر وبحماسة شديدة أهداف المستعمرين . لقد حاربت جيوشنا بدون عقيدة ، لذلك فمرت بعد الصدمة الأولى بشكل لم يسبق له نظير .

ولو أن العسكريين استقر في نفوسهم ، أن الرجل لا يموت إلا بأجله الموعود ، وأن الشهادة في سبيل الله من أعظم الدرجات ، وأن الفرار يوم الزحف من الكبار ، وأن الجهاد أفضل العبادات ، وأن جهاد ساعة خير من عبادة ستين عاما .

لو استقر في أذهان العسكريين مثل هذه المثل العليا النابعة من صميم الإسلام ، لكان لهم شأن في الحرب أي شأن ، ولصبروا وصابروا ورابطوا في الميدان .

إنني أطالب المسؤولين باقرار التعليم الديني في المدارس والمعاهد والجامعات على أسس رصينة سليمة ، وغرس مبادئ الدين الحنيف في نفوس العسكريين ضباطا وجنودا بالدروس والمحاضرات ، ومراقبة سلوكهم الشخصي مراقبة دقيقة ، ومحاربة أسباب إشاعة الفوضى الاخلاقية والترف ، والعمل على غرس الفضيلة والخلق الكريم بين أبناء الجيش خاصة والشعب عامة .

فهل من سميع مجيب ، أم على قلوب أقفالها ؟

— 12 —

لقد عزا قسم من المفكرين العرب انتصار إسرائيل

الى تفوقها على العرب في العلوم التطبيقية ( التكنولوجيا ) .

ولعل هذا التفوق العلمي سبب من الاسباب ، ولكنه ليس السبب الاول والاخير .

ان الولايات المتحدة الامريكية متفوقة على فيتنام الشمالية تفوقا عظيما في الناحية العلمية ، ولكن فيتنام لم تستسلم ولم توقف القتال .

وعزا قسم من المفكرين العرب انتصار اسرائيل الى التفوق الجوي .

ولعل هذا التفوق الجوي سبب من الاسباب ، ولكنه ليس السبب الاول والاخير .

ان الولايات المتحدة الامريكية متفوقة على فيتنام تفوقا ساحقا في الجو ، ولكن فيتنام لم تستسلم ولم توقف القتال .

لقد استطاعت فيتنام أن تكبد الولايات المتحدة مائة ألف عسكري منهم ستة عشر ألف قتيل وأربع وثمانون ألف جريح (50) .

واستطاعت فيتنام أن تسقط ثلاثة آلاف طائرة من طائرات الولايات المتحدة الامريكية (51) .

ان الثبات وحده هو الذي حقق لفيتنام الشمالية هذا النصر ، ولا ثبات بدون عقيدة .

لقد صرح مسؤول اسرائيلي كبير ، ان عوامل انتصارهم على العرب خمسة ، على رأسها العامل الروحي .

وحين احتلت اسرائيل القدس القديمة يوم 6 / 6 / 1967 ، زحفت جموعهم وعلى رأسها رئيس الدولة حفاة حاسري الرأس الى حائط المبكى ! !

وذكر أحد رجالات اسرائيل ، انهم انتصروا على العرب لانهم يؤمنون بالله .

فهل صرح مسؤول عربي مثل هذا التصريح حتى اليوم ؟ !

واذا كان يهود يؤمنون بالله ، فبماذا يؤمن العرب ؟

وهل فكر العرب بالعودة الى تعاليم الدين الحنيف ، ليكون لهم سنداء وعونا في الشدائد والملمات ؟ !

(50) أعلن ذلك مسؤول أمريكي يوم 6 / 10 / 1967 وأذاعته محطات الاذاعة العالمية ونشرته الصحف .  
(51) أعلن ذلك خلال شهر أيلول 1967 .



ام لا يزال العرب يعتبرون الدين وتعاليمه من الامور الثانوية ؟ !

ان الناحية العلمية التطبيقية واعداد الطائرات والدروع والاسلحة والعتاد ، واكمال التدريب والتجهيز ، كلها تدخل في نطاق الاعداد العسكرية الذي امر به الاسلام .

ولكن الناحية المعنوية ، وهى التمسك بالعقيدة ، لا تقل اهمية للجيش والشعب على حد سواء من الاعداد المادية .

فلا بد من العودة الى الله تائبين منيبين ، ولا بد من العودة الى تعاليمه السماوية ، وعند ذاك لن تغلب ابدا .

ان الذى يحتاج اليه العرب اليوم ، هو الايمان بالله ، والايمان بالعلم ، وحينذاك سيقول يهود كما قال اسلافهم من قبل : ان فيها قوما جبارين .

— 13 —

والسفاه على القدس ..

والسفاه على بلد الانبياء والمرسلين ..

والسفاه على مسرى النبى صلى الله عليه وسلم .

ولكن القدس لا يمكن انتاذاها بالاسى والاسف ،

حتى ولو ابيضت عيون المسلمين من الدمع .

وصدق الله العظيم : « ولينصرن الله من ينصره

ان الله لقوى عزيز » (52) .

ونصر الله ايمان به ، وثقة بقدرته ، وعمل بتعاليمه ، ثم اعداد لمطالبات القتال التى امر بها « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » الانفال الآية 60 .

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى الذين ينصرهم فقال : « الذين ان مكنهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » (53) .

فاين هم هؤلاء حتى ينصرهم الله .. اين ؟ !

ان المؤمن لا يياس ..

والمؤمن لا يقنط ..

واسرائيل اذا انتصرت ساعة ، فلن تنتصر الى قيام الساعة ..

ان الله يغار على قبة الصخرة ان يرتفع عليها علم اسرائيل ..

ويغار على المسجد الاقصى ان تنتهك فيه الحرمات ..

ويغار على مسرى النبى صلى الله عليه وسلم ان تقترب فيه المويقات ..

ومصر يهود معلوم ، وانا واثق من نصر الله .. وقد اعد الله لليهود يوما عصيبا : « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » ..

فهل نعود الى الله ، ونعمل بتعاليمه ، لينصرنا على اسرائيل ، وعلى اعدائنا جميعا ، ام لا نزال بحاجة الى النكسات والنكبات ؟ !

(52) سورة الحج الآية 40 .

(53) سورة الحج الآية 41 .